مركز الجزيرة للدراسات
ALJAZEERA CENTER FOR STUDIES

تقـــــاريـــــر

الجزيرة: كيف استطاعت قناة عمرها 15 عاماً أن تغطي ثورات أمة؟

جهاد أبو شباب

طالب جامعي فلسطيني من مواليد 1983، يدرس الإعلام في جامعة "جامعة أوميو" Umeå University في مملكة السويد.

Al Jazeera Centre for Studies
Tel: +974-44663454
jcforstudies@aljazeera.net
studies.aljazeera.net

كيف استطاعت قناة عمرها 15 عامًا أن تغطي ثورات أمة؟. للإجابة عن هذا التساؤل سنطرح ثلاثة أسئلة نستنبط من خلال الإجابة عنها الدور المركزي الذي قامت به الجزيرة إبان الثورات العربية التي اشتعلت في بداية عام 2011 في عدة بلدان عربية والتي عرفت اصطلاحًا باسم "الربيع العربي":

1. **أولًا:** ما مدى متابعة المشاهد العربي لقناة الجزيرة إبان الثورات العربية ؟
2. **ثانيًا:** كيف كانت تغطية الجزيرة لثورات "الربيع العربي" ؟
3. **ثالثًا:** ما هي وسائل الحرب الإعلامية التي شنَّت على الجزيرة أثناء تغطيتها لأحداث الثورات العربية ؟

أدوات البحث ومنهجيته

في هذا البحث، وفي الفترة ما بين 17 ديسمبر/كانون الأول2010 أي منذ بداية الاحتجاجات في مدينة "سيدي بوزيد" التونسية وحتى تاريخ كتابة هذه الحروف في نهاية أغسطس/آب 2011، مع سقوط "باب العزيزية" آخر معاقل القذافي في أيدي ثوار ليبيا، تم بشكل شبه يومي رصد وتحليل ومقارنة ما كان يبث على شبكة الجزيرة ووسائل إعلامية أخرى سنذكرها تباعًا في طيات هذا العمل، علمًا أن التركيز في الرصد كان منصبًا في الأساس على كل ما كان يتعلق بالثورات العربية.

الصعوبات التي واجهت البحث

1. تدفق مجريات الأحداث وتسارعها بشكل كبير في عدة دول عربية وفي عدة مدن وفي عدة جبهات في نفس الوقت زاد من صعوبة متابعة الأحداث وربطها بعضًا ببعض.
2. كثرة وتعدد وسائل الإعلام التي تم رصدها في هذا البحث وذلك لصعوبة -بل لاستحالة- إبراز الدور الذي لعبته الجزيرة في الثورات العربية بشكل علمي دون أن يتم رصد قنوات إخبارية أخرى غطت نفس الأحداث في نفس الوقت ناهيك عن قنوات الأنظمة التي كرست أغلب أوقاتها لمحاربة المعلومة التي كانت تبثها الجزيرة بالتحديد.
3. الإرباك الحاصل نتيجة لتضارب المعلومات وغزارة الصور والمقاطع المرئية المنسابة على شبكة الإنترنت ما بين مقاطع فيديو صحيحة يرسلها بعض المتظاهرين ومقاطع فيديو خادعة يرسلها في الغالب متعاونون مع الأنظمة أو"الجيش الإلكتروني" على حد وصف بشار الأسد لهم.
4. صعوبة الاتصال بمصادر المعلومات للتأكد من صحتها نظرًا للهاجس الأمني المحيط بدوائر الأنظمة الحاكمة والثوار على حدٍ سواء.

أولًا: كيف تابع المشاهد العربي الجزيرة إبان الثورات العربية؟

مع انطلاق شرارة الثورات العربية من مدينة "سيدي بو زيد" في الأيام الأخيرة من عام 2010، وفي ضوء تعتيم إعلامي رسمي على مجريات الأحداث، أصبحت شبكة الجزيرة بمختلف قنواتها الإعلامية المصدر الرئيس للمعلومة الموثقة، فزادت بذلك نسبة مشاهدة الجزيرة بشكل كبير دلت عليه مظاهر عدة منها:

1. حصلت قناة الجزيرة على المركز الأول من بين القنوات التي تابعها الشعب المصري خلال أيام الثورة المصرية، فيما أبدى المصريون اهتمامًا متزايدًا بقناة الجزير مباشر، وذلك طبقًا لنتيجة استطلاع للرأي موَّلته الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية "USAID" أجري في أبريل 2011 في مصر.
2. موقع www.sociablemedia.me التابع لشركة البحث العلمي "ميديا سورس" التي تتخذ من الإمارات مقرًا لها، صنفت قناة الجزيرة الإنجليزية وقناة الجزيرة العربية في المركزين الأول والثاني في قائمة أكثر القنوات المتابعة في الشرق الأوسط على "تويتر"، وذلك في رصدها الذي قامت به صيف 2011.
3. في استبيان لقسم الدراسات والمعلومات في صحيفة "الأضواء" اليمنية تم في منتصف فبراير/شباط 2011 احتلت قناة الجزيرة المركز الأول ضمن قائمة القنوات الأكثر مشاهدة في اليمن والتي يفضل من خلالها اليمنيون تغطيتها لأحداث الثورة اليمنية وغيرها من ثورات العرب.
4. موقع "غيك أو سيستم" المختص برصد متابعة الجمهور للمواقع على شبكة الإنترنت أشار إلى أن جمهور موقع شبكة الجزيرة "الجزيرة نت" تضاعف في الأيام الأولى من الثورة المصرية بنسبة 2500%.
5. في بداية فبراير/شباط قام الثوار المصريون بنصب شاشتين كبيرتين في قلب ميدان التحرير لتعرض عليهما - وعلى مدار الساعة - قناة الجزيرة وقناة الجزيرة مباشر. وقد رُصد تكرار هذه الظاهرة في كل من الإسكندرية والسويس وبنغازي وعدن وصنعاء وحماة وحمص ومدينة جاسم في محافظة درعا.

وفي هذا البحث، تم متابعة العديد من المظاهر الشعبية، والتي تشير بشكلٍ لا يدع مجالًا للشك بأن الجزيرة لم تكن مجرد وسيلة إعلام عادية توبعت من المشاهد العربي وحسب، بل كان اسم هذه القناة الإعلامية التي ولدت منذ أقل من 15 عامًا اسمًا يتردد صداه من قلب المظاهرات العربية، بل وصار الثوار الذين يهتفون للحرية في مختلف أرجاء الوطن العربي يتفننون في اختراع شعارات ووسائل يبدون فيها شكرهم لقناة الجزيرة القطرية وتغطيتها لأحداث ثوراتهم.

ثانيًا: كيف كانت تغطية الجزيرة لثورات "الربيع العربي"؟

التغطية مستمرة... كان هذا هو الشعار الأبرز الذي رفعته الجزيرة أثناء تغطيتها للثورات العربية، وقد كان اتخاذ هذا الشعار ليكون منهاجًا يوضح أسلوب الجزيرة في تغطيتها تلك شعارًا موفقًا للغاية، وذلك لملاءمته التامة لظروف الثورات المتسارعة في أحداثها والمتعاقبة في مراحلها. ففي فترة الثورات العربية أظهرت الجزيرة كل ما قد اكتسبته من خبرات وتجارب مرت بها القناة خلال عمرها الممتد لما يقرب من 15 عامًا، والقارئ الجيد لتاريخ الجزيرة يجد أنها كانت قد غطت إعلاميًا أحداثًا عِظاما من قبيل: الانتفاضة الفلسطينية، حرب أفغانستان، حرب العراق، حرب لبنان، حرب غزة، الأزمة الاقتصادية، كارثة تسونامي، إعصار كاترينا... وغيرها من حروب وأزمات وكوارث طبيعية نقلت الجزيرة أحداثها بشكل متميز لم يكسبها مصداقية لدى مشاهديها وحسب، بل أكسب طاقمها الإعلامي خبرة وحرفية في نقل الأحداث الاستثنائية.

التحديات التي واجهت الجزيرة إبان تغطيتها للثورات العربية

بالرغم من الخبرات السابقة التي اكتسبتها الجزيرة عبر تغطياتها للأحداث العالمية السابق ذكرها، فقد مثلت ثورات "الربيع العربي" تحديًا جديدًا للجزيرة لعدة أسباب أهمها:

1. إغلاق مكاتب الجزيرة من قِبل الأنظمة في الدول الثائرة شعوبها بُعَيد اندلاع شرارة الاحتجاجات مباشرة، فضلًا عن إغلاق هذه المكاتب قبل أن تقوم الثورات بالأساس (كالحالة التونسية مثلًا)، هذا ما تَطلَّبَ إيجاد بدائل يمكن للجزيرة من خلالها نقل المعلومة من قلب الحدث إلى المشاهد بأكبر قدر من المصداقية.
2. تتابع الثورات في آن واحد تطلب من الجزيرة جهدًا كبيرًا لتغطية الثورات في نفس الوقت، أضف إلى ذلك جهودًا مضاعفة لترتيب أولويات الأحداث الأبرز التي تحتل المساحة الأكبر في نشراتها، فتارة كانت مواجهات تجري في "البريقة" تأتي على رأس النشرة الإخبارية للجزيرة، وتارة أخرى كانت مظاهرة في "عدن" تحتل مقدمة النشرة، وتارة ثالثة كان حصارًا في "حماة" هو الحدث الأهم، وهكذا دواليك.
3. تنوع أساليب تعامل الأنظمة مع المتظاهرين أدى لتنوع في أشكال الثورات العربية وتمايز الطرق التي سارت بها مجريات الأمور هناك، وهذا ما تطلب من الجزيرة مرونة في تغطيتها لتلك الأحداث المتشابهة في الأهداف والمتنوعة في الوسائل، فقد تمايزت هذه الثورات على عدة أشكال، وسلكت مجريات الأمور فيها لسبب أو لآخر منحنيات مختلفة، فمنها ما طغى عليه الشكل "الاعتصامي" كما هو الحال في الثورة المصرية، ومنها ما طغى عليه الشكل "العسكري" كما هي الحالة الليبية، ومنها ما كان على شكل "انتفاضة" كالثورة السورية على سبيل المثال.

وفي الفترة الزمنية الممتدة من منتصف ديسمبر/كانون الأول 2010 وحتى نهاية أغسطس/آب 2011 تم رصد عدة ملاحظات على تغطية قناة الجزيرة لما بات يعرف بـ "الربيع العربي" لعل من أبرزها ما يلي:

1. كانت تغطية الجزيرة للثورات -في أغلب الأوقات- على مدار الساعة وبشكل مباشر.
2. ظهرت على الوجود برامج جديدة واكبت الثورات وأثرت التغطية المستمرة لها مثل برنامج "حديث الثورة" الذي يناقش آخر التطورات والمستجدات للثورات، وبرنامج "شاهد على الثورة" الذي يوثق للثورات، و"ربيع الشعوب" الذي يحكي قصص الشعوب الثائرة، وبرنامج "حكاية مدينة" الذي يعرف المشاهد بالمدن العربية الثائرة.
3. برز دور قناة "الجزيرة مباشر" في هذه الثورات بشكل كبير، وأصبحت شاشة القناة بمثابة منبر مفتوح يعبر من خلاله المعارضون والمؤيدون للأنظمة على حد سواء بآرائهم عبر الاتصالات الهاتفية والرسائل القصيرة.
4. لوحظ أن الجزيرة وبالرغم من نقلها لأخبار الاحتجاجات والثوار المطالبين بالحرية، لوحظ أنها استمرت بنقل وجهة النظر الرسمية بشكل حيادي، بل وفي أغلب الأحيان كان يتم الاتصال بالمسؤولين الرسميين للتعليق على صحة الأنباء من عدمها، وقد استمرت الجزيرة في نقلها للرأي والرأي الآخر.
5. بالرغم من الحرفية التي أبداها مذيعو ومذيعات الجزيرة في تغطيتهم للثورات، إلا أن الأمر لم يخل من بعض الانفعالات العاطفية التي أبداها بعض المذيعين والمذيعات إبان تغطيتهم لأخبار ضحايا قمع الأنظمة الثائرة شعوبها، رصدنا منها على سبيل المثال لا الحصر بكاء "علي الظفيري" على الشهيد بإذن الله "علي الجابر" رئيس قسم التصوير في قناة الجزيرة، وانفعال "عبد الصمد ناصر" عند مقابلته مفتي النظام السوري "بدر الدين حسون" الذي نفى بالكلية سقوط ضحايا في سوريا، وتعليق المذيعة "رولا إبراهيم" على أحد المسؤولين السوريين عندما صرح أن الطفل الذبيح "حمزة الخطيب" ليس طفلًا بالرغم من عمره الذي لم يتجاوز الثلاثة عشر ربيعًا.
6. كانت الجزيرة تحرص على تحذير المشاهدين قبل عرضها لمناظر مؤلمة، وكانت الصور الفظيعة تعامل تقنيًا بشكل يقلل من بشاعة المنظر.

7. لم تغب تغطية الجزيرة للنواحي الإنسانية في فترة الثورات، فقد قامت بتغطية أحوال النازحين من على الحدود الليبية التونسية، ولم تهمل الجزيرة تغطية مجاعة الصومال على الرغم من تزامنها مع أحداث مهمة للثورات.
8. تم الاستعاضة عن التقارير المرسلة من المراسلين بتقارير مطولة تكون مادتها المصورة هي مقاطع الفيديو التي سجلها المتظاهرون بأنفسهم من قلب الأحداث، أما مادتها الصوتية فكانت مزيجًا من هتافات المتظاهرين وقراءات تحليلية من محرري الجزيرة، لوحظ في هذه التحليلات قوة الكلمات وجزالة الألفاظ، لعل من أشهرها تقرير "اليوم ننجيك ببدنك" الذي قرأه الإعلامي السوداني "فوزي بشري" عشية تنحي مبارك.
9. لوحظ أن كثيرا من التقارير الإخبارية التي أرسلها مراسلو الجزيرة من شتى بلدان العالم تأثرت - بشكل أو بآخر- بالجو العام للثورات العربية. يُذكر على سبيل المثال تقرير مراسل قناة الجزيرة في موسكو "جمال العرباوي" يوم 20-08-2011 في نهاية تقريره الذي تناول فيه مضي عشرين عامًا على انهيار الاتحاد السوفياتي : "غورباتشوف كان مجلبة دائمة للآراء المتناقضة، ولكن شيئًا واحدًا لم يختلف عليه اثنان، كان صاحب أكبر سلطة، لكنه لم يتمسك بالكرسي، ولم يستبح دماء مواطنيه،وقد كان بإمكانه أن يفعل".

وقد رصدنا في هذا البحث الكثير من الوسائل التي انتهجتها قناة الجزيرة القطرية في تغطيتها لثورات "الربيع العربي" والتي لا تتسع لها هذه السطور المحدودة لغزارتها من جهة، وتنوعها من جهة أخرى.

ثالثًا: وسائل الحرب الإعلامية التي شنَّت على الجزيرة إبان تغطيتها للثورات

عندما وُلدت قناة الجزيرة القطرية واختارت لنفسها منذ بدايتها شعار "الرأي والرأي الآخر" لم يعد الصدام بين القناة والأنظمة العربية القمعية شيئًا متوقعًا فحسب، بل كان الصراع حتميًا بالضرورة، فقد مثلت هذه القناة تحديًا خطيرًا لأنظمة دكتاتورية قمعية فرضت على شعوبها -وعلى مدى عقودٍ طويلة- رأيًا واحدًا ورؤية واحدة للأحداث كانت تخص الحزب الحاكم أو حتى الرئيس نفسه. فتنافست كثير من الدول العربية في التضييق على تلك القناة الوليدة منذ نشأتها وذلك من خلال عدة صور لعل من أبرزها إغلاق مكاتب الجزيرة على أرضها ومنع صحافييها من نقل الأحداث الجارية هناك حتى ولو تطلب ذلك عنفًا جسديًا، ولعل اعتقال مراسلي الجزيرة والاعتداء عليهم بالضرب كان أقل ما تتعرض له الجزيرة في ذلك الوقت، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الاعتداء على الإعلامي المصري "أحمد منصور" في خريف 9-11-2005 أثناء تغطيته للانتخابات المصرية.

ولأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره....فقد اخترنا في هذا الباب أن نسبرَ أغوار الحرب الإعلامية التي شنَّت على قناة الجزيرة -أو لِنقل على شبكة الجزيرة- وذلك من خلال استعراضنا لثلاث ثورات عربية برزت في خلالها فصول الحرب الشرسة التي دارت راحها على الساحة الإعلامية، وقد تم اختيار هذه الثورات الثلاث بالتحديد من بين الثورات العربية نظرًا لوضوح صورة الحرب الإعلامية فيها بشكل كبير فضلًا على أنها ثورات متشابهة بالهدف ومختلفة بالشكل، أما الهدف الموحد لها فكان المطالبة بالحرية، أما اختلافها فكان على شكل تباينت فيه صور الحراك الشعبي التي سادت في مجمل أيام الثورة نتيجة لسبب أو لآخر، فقد كان الحراك الشعبي السائد في الثورة المصرية على شكل (اعتصامات مليونية)، أما في الثورة الليبية فقد ساد في أغلب فتراتها طابع (مواجهات عسكرية)، وفي حالة الثورة السورية أخذت الاحتجاجات طابعًا متصاعدًا لـ (انتفاضات شعبية) .

الثورة المصرية

بعد تغطيتها المميزة للثورة التونسية -منذ انطلاقة شرارتها الأولى في مدينة "سيدي بوزيد" في منتصف ديسمبر/كانون الأول 2010 وحتى سقوط "زين العابدين بن علي" في 14 يناير/كانون الثاني 2011- بالرغم من منع مراسليها من نقل الأحداث من الأراضي التونسية، اتجهت الأنظار إلى قناة الجزيرة لمتابعة أحداث الثورة المصرية التي بدأت على شكل مظاهرات شعبية عمت أرجاء مصر يوم عيد الشرطة 25 يناير/كانون الثاني 2011، ومنذ اليوم الأول للثورة، قامت قناة الجزيرة بتغطية أحداث الثورة بشكل جعلها القناة الأولى المتابعة من الشعب المصري زمن الثورة المصرية تبعًا للدراسة التي بيناها سابقًا، وفي الوقت الذي كان التلفزيون الرسمي المصري يبث صورًا هادئة لشوارع القاهرة تركز فيها الشاشة على أمواج نهر النيل الهادئة، نقلت الجزيرة ما كان يجري من صور لقتلى وجرحى بالعشرات ملقون في شوارع القاهرة، هذه التغطية للجزيرة لم ترق بالضرورة للنظام المصري، فبدأت الحرب الإعلامية على الجزيرة منذ اليوم الأول، وتحركت ضد الجزيرة وتغطيتها إمبراطورية إعلامية ضخمة هي الأقدم في الوطن العربي تضم تحت لوائها عشرات القنوات التلفزيونية وعشرات الصحف الرسمية قدر عدد العاملين بها بعشرات الآلاف. العجيب في الأمر أننا رصدنا خلال هذا البحث وقوف جل القنوات المصرية المستقلة في جانب النظام ضد قناة الجزيرة بالتحديد، وصار اسم الجزيرة اسمًا يكال له التهم من إعلام النظام المصري الرسمي منه والمستقل على حد سواء. إلا أن حملة التشويه هذه لم تغير من طريقة تغطية الجزيرة للأحداث، فكانت الجزيرة الوسيلة الإعلامية الرئيسة التي عرف من خلالها المصريون أخبار ضحايا مدينة السويس المصرية التي أشعلت لهب الثورة، ومع قطع النظام لخدمة الإنترنت في مصر أصبحت الجزيرة المنفذ الرئيس الذي لجأ إليه المصريون لمتابعة أخبار ثورتهم، فزاد الضغط على قناة الجزيرة من قبل النظام المصري، وأغلقت السلطات المصرية مكتب القناة في القاهرة. إلا أن الجزيرة قامت بابتكار طريقة جديدة في تغطية الثورة، فقد سمحت لجميع القنوات بنقل بثها ليتسنى للمصريين متابعتها، وقد نجحت بذلك بالفعل، ولكي تعوض غياب المراسلين، فتحت القناة خطوطها الهاتفية لعامة الشعب، فأصبحت الجزيرة تنقل الأخبار من قلب الأحداث من عدة مدن وعدة مواقع. واستمرت الجزيرة في تغطيتها لوقائع الثورة المصرية، ونصب المصريون المعتصمون في ميدان التحرير شاشتين عملاقتين في قلب الميدان عُرضت على إحداهما قناة الجزيرة، وعلى الثانية قناة الجزيرة مباشر، وفي الوقت الذي كان يصر فيه إعلام النظام على تجاهله لتحركات الشارع المصري، كانت قناة الجزيرة تنقل الأحداث من قلب ميدان التحرير بشكلٍ مباشر، وتجري الاتصالات مع المعتصمين من جهة ومسؤولي النظام من جهة أخرى، تماشيًا مع مبدأ "الرأي والرأي الآخر"، وفي أحداث "موقعة البغال" الشهيرة التي جرت بين "بلطجية" النظام وقناصيه من جهة وبين المعتصمين في التحرير من جهة أخرى، كانت الجزيرة المنبر الذي يصدر الثوار منه استغاثاتهم في ظل تعتيم إعلامي رسمي للحدث، وكثيرا ما كانت الجزيرة ما تتعرض لتشويش وإيقاف بثها على قمر نايلسات، مما جعل القناة تهدد النايلسات بمقاضاة القائمين على القمر الصناعي المصري، وازدادت وطأة الحرب على قناة الجزيرة، وازدادت محاولات اختراق موقعها على شبكة الإنترنت، إلا أن القناة استطاعت التصدي لتلك الهجمات من خلال استخدامها لأنظمة حماية غاية في الدقة. وفي أيام الجمع، كانت الجزيرة تنقل وقائع خطبة الجمعة من قلب ميدان التحرير مباشرة في خضم تغطيتها لمجريات الثورة المصرية، وقد لوحظ استمرار تغطية الجزيرة بدون انقطاع طيلة أيام الثورة رغم جميع المصاعب التي واجهتها.

يخطئ الكثيرون باعتقادهم أن الجزيرة بحرفيتها لم تلق أي صعوبة تذكر في مواجهتها لإعلام القذافي إبان فترة الثورات، ومع تسليمنا برداءة جودته... فإن إعلام القذافي أثناء تغطيته للأحداث استطاع في النهاية خداع وكالة أنباء عملاقة مثل "رويترز"، وخير مثال على خداعه الإعلامي هو ذلك الفيديو الشهير الذي عرضته وكالة "رويترز" لتجول سيف الإسلام القذافي في شوارع "طرابلس" بكل حرية بعد إعلان سقوطها والناس تحتفل به وبأبيه، وقد أحدث هذا الفيديو حالة من الإرباك والحيرة في صفوف الثوار والمتابعين الإعلاميين على حد سواء. ومن خلال تحليلنا لهذا الفيديو في هذا البحث... اتضح لنا أن سيف الإسلام لم يكن بباب العزيزية وقتها بل ولم يكن بالسيارة أصلًا، وإنما قامت السيارة بالتجوال في شوارع طرابلس على أنها إحدى سيارات الثوار.

ومع بداية الثورة الليبية قامت الجزيرة بتغطية الاحتجاجات التي اندلعت في بنغازي صبيحة 17 فبراير/شباط 2011، إلا أن الأمر تغير مع اتجاه الأمور إلى الحل العسكري، وعلى نفس السياق الذي حوربت فيه الجزيرة في الثورة المصرية...تم قفل مكتب الجزيرة في طرابلس، وتم تشويه صورة الجزيرة من قبل النظام، وقام تلفزيون "الجماهيرية" بعرض رجال أمن وهم يهتفون "يا جزيرة ويا حقيرة ،القائد ما نبوا غيره"، فجاء الرد سريعًا من مظاهرات ملأت شوارع مدينة "درنة" الليبية يوم 18-02-2011 عندما هتف المتظاهرون للجزيرة: "نعتذرولك يا جزيرة، والله ما إنك حقيرة". وفي نفس اليوم حجبت السلطات الليبية موقع الجزيرة نت في جميع أنحاء ليبيا. واستمرت قناة الجزيرة لنقلها للأحداث مع فتحها المجال للاستماع لجميع الآراء المتعلقة بالتطورات الليبية ومن بينها وجهة النظر الرسمية، وذلك من خلال اتصالها بالمسؤولين الليبيين، إلا أن مشاهد القتلى وضحايا قصف الطائرات الليبية للمدنيين الليبيين لم ترق لصناع القرار في طرابلس، مما دفع "سيف الإسلام القذافي" يوم 20-02-2011 في أول ظهور له بعد الأحداث إلى الإشارة إلى قناة الجزيرة بالاسم في خطابه الشهير حيث وجه كلامه للشعب الليبي قائلًا: "ما تخلوش الجزيرة تضحك عليكم". ومع اكتساء الثورة حلتها العسكرية... قامت الجزيرة بإيفاد شبكة كبيرة من المراسلين إلى مختلف أرجاء ليبيا ليقوموا بتغطية الجزيرة لوقائع الثورة، ويبدو أن الصور التي كانت تبثها قناة الجزيرة والتي تصور الضحايا المدنيين الذين سقطوا بأسلحة النظام أقضت مضاجع "العقيد"، فكان لا بد من إسقاط تلك الكاميرا التي كانت تنقل هذه الصور للعالم، فكان القرار يوم 12-03-2011 بإطلاق النار على القطري الشهيد بإذن الله "علي حسن الجابر" رئيس قسم التصوير في قناة الجزيرة. وأصابت كتائب القذافي مراسل الجزيرة المغربي "محمد البقالي" عند معبر"وازن" على الحدود التونسية الليبية. إلا أن تغطية الجزيرة الحرفية للثورة الليبية استمرت رغم كل المعوقات التي تعرضت لها، في الوقت الذي تحول إعلام العقيد القذافي إلى وسيلة للتندر في صفحات الفيسبوك واليوتوب، وبرز على القنوات الرسمية الليبية أسماء مذيعين ومذيعات ببرامج تفند الأخبار التي تنقلها الجزيرة، برز من بينهم "يوسف شاكير" الذي قرأ في إحدى حلقات برنامجه اليومي على قناة "الجماهيرية" رسالة من ملك من ملوك الجن يحذر فيها دولًا من بينها "قطر" الدولة التي يقع عليها المركز الرئيس لشبكة الجزيرة من زلزال يدمرها وإشعاعات نووية تقضي على سكانها إذا لم يكفوا عن مقاتلة "العقيد". وبالرغم من طول فترة الحرب العسكرية، فإن مراسلي الجزيرة استمروا في نقل وقائع العمليات من مقدمة جبهات القتال، برز منهم المراسل العراقي "عبد العظيم محمد" الذي رافق الثوار من "أجدابيا" و"البريقة" حتى كان أول مراسل عالمي يدخل إلى "باب العزيزية" مع الثوار في نهاية أغسطس 2011.

كانت الثورة السورية هي الثورة العربية الأبرز التي ظهرت فيها الحرب الإعلامية على قناة الجزيرة في أبرز تجلياتها. فلقد كان الإعلام السوري ينفي بالإساس وجود أي من المظاهرات التي كانت تنقلها الجزيرة على شاشتها، وقد ذكر التلفزيون السوري يوم 22-04-2011 أن الآلاف الذين صورتهم قناة الجزيرة من أهالي "الميدان" و"دوما" يهتفون للحرية إنما خرجوا ليشكروا الله على نعمة الأمطار التي هطلت عليهم. وقد خصص الإعلام السوري برامجًا شبه يومية لا هم لها إلا تشويه صورة قناة الجزيرة القطرية.

ومع بداية الثورة... أخذ البعض على الجزيرة تأخرها في نقلها لأحداث الثورة السورية، إلا أننا من خلال رصدنا للأحداث بعناية وجدنا أن الجزيرة قامت بنقل أحداث الثورة السورية منذ اندلاع شرارتها الأولى من خلف جدران المسجد العمري في مدينة "درعا" فجر يوم الأربعاء 23-03-2011، إلا أن تغطية قناة الجزيرة للأحداث على الجبهة الليبية والجبهة اليمنية كانت في أوجها، نظرًا لاحتدام الثورات هناك وعدم وضوح الرؤية في الثورة السورية بشكل جلي، إلا أنه عندما اشتعلت جذوة الثورة في بلاد الشام قامت الجزيرة بإعطاء التطورات على الساحة السورية الأولوية في التغطية، وفتحت الجزيرة خطوطها لشهود العيان من "درعا" وغيرها من المدن السورية لينقلوا للجزيرة ما رأوه من قمعٍ وتنكيل بالمتظاهرين، في الوقت نفسه فتحت الجزيرة خطوطها من دمشق لتنقل وجهة النظر الرسمية للأحداث، وكثيرًا ما كان المسؤولون السوريون يجيبون بفظاظة على أسئلة مذيعي الجزيرة، وبالرغم من هذا استمرت الجزيرة باستعراض "الرأي والرأي الآخر".

وكأنهم تواصوا به... قام النظام السوري بتكرار ما فعله النظام المصري والنظام الليبي إغلاق مكتب الجزيرة في دمشق ومن ثم تكذيب كل ما تعرضه الجزيرة من صور القمع للمتظاهرين، ولعل أشهر هذه الحوادث هي حادثة بلدة "البيضا" عندما عرضت الجزيرة صورًا لقوات الأمن السورية وهي تدوس على أهالي تلك البلدة، فقامت وسائل الإعلام السوري بالادعاء بأن تلك الصور التقطت بالعراق وأن أولئك الذين يدوسون بأحذيتهم على رؤوس البشر إنما هم قوات المارينز الأميركية أو في رواية أخرى من قوات البشمركة الكردية، فكان الرد من قناة الجزيرة أن عرضت مقطعًا للشاب السوري "أحمد البياسي" الذي ظهر في حادثة "البيضا" ليفند الرواية الرسمية ويؤكد على صحة أخبار الجزيرة.

ومن خلال تحليلنا لمادة هذا البحث نرى أنه من الأهمية بمكان أن نستعرض بعض التعليقات التي علق بها أعضاء صفحة "الثورة السورية ضد بشار الأسد The Syrian Revolution 2011 "، وهي بمثابة الصفحة الرسمية لثوار سوريا، وفي هذه التعليقات – على الرغم من بساطتها- يتضح مدى الدور الذي لعبته قناة الجزيرة بالنسبة للشباب السوري الثائر، وقد تم رصد هذه التعليقات في يوم 16-07-2011 :

قناة .... الجزيرة... تستحق كل الشكر منا ...قل كلمة بحقها...

" صوت الحق اللذي نطق...في الوقت اللذي خرس فيه حكومات بأسرها ...من عرب وعجم"، " بكل لغات العالم أقول لكي أنتي المنبر الحر ... قناة الحق ... مليون شكراً ياقطر ويأمير قطر وياشعب قطر : وياطاقم الجزيره "، " لولا الله ثم قناة الجزيرة كان دفنت درعا تحت التراب"، "جزاهم الله كل خير عنا"،" الجزيرة قناة الشرفاء قناة الثورات قناة الشعوب

المضطهدة" ، " والله لولا رب العالمين اولا ثم عزيمة السوريين و متابعة الجزيرة للشأن السوري بكل تفاصيله وكل صغيره وكبيره فيه لكان صار بكل محافظة سوريه فات عليها الجيش حماه ثانيه"، "من كل قلبي ومن كل اعماق قلوب السوررين الشرفاء شكرا لقناة الجزيرة "، " سادعوا لكل طاقم المشرف ع هذه القناة" ،"هي صوت الحق...هي صوت المظلومين والمقهورين والمستضعفين في الأرض...هي شريكتنا في الثورة...وستكون شريكتنا بالنصر بإذن الله".

وبعد قراءتنا لهذه النماذج الثلاثة للثوارت العربية نجد أن الجزيرة واجهت حربًا إعلامية شرسة من قبل تلك الأنظمة، إلا أن الجزيرة كانت تكيف نفسها لكي تستمر في طغتيتها الإعلامية رغم كل ما كانت تتعرض له، وكانت مرونة الجزيرة في تغطيتها من حدث لأخر سببًا في نجاحها الذي حققته في مواجهتها لإعلام شرس من قبل تلك الأنظمة.

خلاصة البحث

من خلال ما تقدم، نرى أن قناة الجزيرة القطرية لم تكن مجرد وسيلة إعلامية عادية غطت احتجاجاتٍ شعبية معينة جرت في رقعة جغرافية محددة، بل كانت قناة الجزيرة مشاركة في ثورة أمة بأسرها. وبالرغم من تعرضها لوسائل هجومية مختلفة من الأنظمة العربية القمعية تفاوت درجاتها من أول حجبها عن المشاهدين العرب إلى آخر تهديد طاقمها بالقتل بل وبالقتل نفسه، فإن القناة استمرت في تغطيتها لثورات "الربيع العربي" بمهنية وحرفية عالية جعلتها تتربع على عرش الإعلام العربي بلا أدنى منازع، مما جعل صحيفة الغارديان البريطانية تنقل عن الإعلامي الأميركي المخضرم "ديفيد مارش" قوله "إن الثورات العربية الأخيرة قامت على أيدي جيل ثلاثيني تربى على الجزيرة منذ انطلاقها قبل نحو 14 عاما" قبل أن تشير الصحيفة في نفس التقرير إلى أنه كما كانت تغطية حرب الخليج عام 1991 "عصر سي إن إن"، فإن تغطية الجزيرة لانتفاضات "ربيع العرب" لعام 2011 تلقى إشادة في واشنطن باعتبارها "عصر الجزيرة".

توصيات البحث

1. إكمال هذا البحث بعمل دراسة مطولة شاملة للثورات العربية ودور الجزيرة في تغطيتها.
2. إنشاء وحدة خاصة للرصد والمتابعة الالكترونية خاصة بالجزيرة مهمتها الأساسية تحليل مقاطع الفيديو التي تبث عبر شبكة الانترنت، وإثبات صحتها من عدمها، ومتابعة كل ما تنشره الوسائل الإعلامية ومواقع الإنترنت فيما يتعلق بقناة الجزيرة سلبًا أو إيجابًا.

المصادر

1. موقع الجزيرة نت : www.aljazeera.net
2. موقع إرشيف الثورة السورية: www.onsyria.com
3. صفحات مختلفة لموقع الفيسبوك: www.facebook.com من أهمها: مصرية "كلنا خالد سعيد"، سورية "الثورة السورية ضد بشار الأسد The Syrian Revulotion 2011"، ليبية "انتفاضة 17 فبراير 2011 لنجعله يوم الغضب في ليبيا"، متنوعة "صفحة قناة الجزيرة الفضائية"، "صفحة الثورة العربية"
4. موقع اللجنة السورية لحقوق الإنسان www.shrc.org
5. موقع الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا www.libyanfsl.com

انتهى